وإنَّ التعرُّض من وظيفتي، ثم فارقه ولم يسلِّم عليه. فحصل للسلطان غضبٌ عظيم حتى وقف على فرسه زماناً كثيراً والناس واقفون قدّامه وخلفه متحيرين من ذلك الأمر، ثم إنّ السلطان عفا عن الكلّ. ثم لما وصل إلى مقصده أرسل لصاحب الترجمة أميراً وقال: قل له إني قد أعطيته قضاء العسكر إلى وظيفة الإفتاء والتدريس، وإني علمت أنه يتكلم بالحق، فأجاب عليه مع الأمير بما نصه: وصل إليّ كتابك سلَّمك اللَّه وأبقاك تأمرني فيه بالقضاء، وأني ممتثل أمرك إلَّا أنّ لي مع اللَّه عهداً أن لا يصدر عني لفظ «حكمت»، فأحبه السلطان محبةً شديدةً وزاد في تعظيمه، وأرسل إليه خمسمائة دينار فقبلها. ثم إن السلطان المتولي للسلطنة بعد سليم زاده في مُقرّره خمسين درهماً فصار مجموع تقريره اليومي مائتي درهم. وقد صنف كتاباً جمع فيه مختارات المسائل وسمَّاه (المختار). ومات في سنة ٩٣٢ اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

(٣٠٢)

(عَليُّ بن إسْمَاعيل بن حَسَن بن هَادي النّهميّ)

ثم الصَّنعاني. مولده سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وقرأ على علمائها كشيخنا العلّامة الحَسَن بن إسْمَاعيل المغربي، والقاضي العلَّامة أحمد بن مُحمَّد قَاطن، وغيرهما. وهو بارع الذكاء فائق الذهن جيد الإدراك حسن الأخلاق كريم الصحبة، وله شغلة كبيرة بالعلوم العقلية والنقلية، وقد استفاد بفاضل ذهنه الوقاد من غريب المسائل عجائب. وله ميل إلى الأدلة، وعمل بما يصحّ منها، وعدم التفات إلى محض الرأي وله قوة في المباحثة والتصرفات الذهنية والاستنباطات العجيبة، ولو دام على الاشتغال لفاق في كثير من أنواع المعارف، ولكنه لا يفارق المطالعة ويستفيد منها ويفيد. وله شعر يمدح به خليفة العصر مولانا الإمام المنصور باللَّه حفظه اللَّه، وهو جيد في الغالب، ويضمنه معاني دقيقة نفيسة، وله قدرة على المشي مع كلّ جنس بما يليق به، وإقبال على معالي الأمور، ورغبة في الشرف. وهو الآن حيٌّ عافاه اللَّه. ثم (مات) رحمه اللَّه أظنه سنة ١٢٣٢ اثنتين وثلاثين ومائتين وألف.

(٣٠٣)

(السيد عَليّ بن إسْمَاعيل بن عَليّ بن القَاسِم ابن أحمد ابن الإمام المُتوكِّل على اللَّه إسْمَاعيل ابن القَاسِم بن مُحمَّد)

ولد سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف بشهارة، ونشأ بها، وقرأ في العلوم

الأدبية والفقه، ومن جملة مشايخه شيخنا السيد العلَّامة عليّ بن إبراهيم المتقدم ذكره، والشيخ العلَّامة نَاصِر بن الحُسَيْن المحبشي، والقاضي العلَّامة مُحسن بن أحمد الشَّامي ثم الشّهاري. وبرع في الأدب، وصار يكتب القصيدة في الوقت الحقير مع ما في شعره من الانسجام والسهولة والمعاني الفائقة. وقد جمعه في سفينة بعث بها إليّ، وطالعت بعض ما فيها ولم يتيسّر لي النقل منها. ولما أرجعتها إليه كتبت إليه هذه الأبيات: [من السريع]

بَـعـشـتَ نـحـوي زَادكَ الـلَّـه مِـنْ تَـيَّـارِكَ الـعَـذْبِ بِـدُرِّ الـقَـريـض[١]
سَـرَّحْـتُ طَـرْفـي مِـنْـهُ فـي جَـنَّـةٍ لـم يَحْكِها في الحُسْنِ رَوْضٌ أَريضْ[٢]
نَـظَـمْـتَ مـا يـقـصـرُ عَـنْ شَـأوهِ مِنْ خيرةِ القولِ الطَويل العَريضْ
قَـدِمْـتَ تُـحْـي لِـلـعُـلـى مَـربـعـاً فَـمـرْبَـعُ الـعَـلْـيـا كَـسـيـرٌ مَـهـيـضْ[٣]

فأجاب بأبيات لم أحفظها. وهو من أكابر آل الإمام، وله رياسة كبيرة في تلك الديار، ويفد إلى صنعاء في الأربعة الخمسة الأعوام مرة. واجتمعت به في وفوده في سنة (١٢٠٨)، وكان لنا في كل أسبوع يوم نجتمع فيه، وهو يوم الأربعاء من بعد الظهر إلى آخر الليل. وجرت بيني وبينه مطارحات أدبية في فنون. من ذلك أنه كتب أبياتاً مضمونها أنه لما عقد هذا الاجتماع في يوم الأربعاء زال عنه ما يوصف به من النحاسة، وأنه صار بذلك أسعد الأيام وأبركها، وله في ذلك نظم بديع. وكان إذا وقع التراخي من بعض من يضمه ذلك المجلس كتب إليه أنه إذا لم يصل وقع الرجوع عن تقرير سعادة يوم الأربعاء. وهو حسن المحاضرة لا يملّ جليسه لما يُورده من الأخبار والأشعار والظرائف واللطائف والمباحثات العلمية والاستفادة فيما لم يكن لديه منها، وتحرير الأسئلة الحسنة. وقد كتب إليَّ من ذلك شيئاً كثيراً، وأجبت عليه برسائل هي في مجموع رسائلي. وله حرصٌ على الفوائد وهمة في تقييد الشوارد. وله من عُلوِّ الهمة وشرفِ النفس حظٌّ وافر. ولما رحل من صنعاء إلى وطنه مدينة شهارة كتب إليّ من هناك: [من الطويل]

أشارتْ إلى عهدِ اللِّقا بِالحواجبِ وَما كُنْتُ عَنْ ذِكْراه مُهْمِلَ واجبِ
سَلي إنْ شَكَكْتِ الحالَ قَلْبَكِ إذْ غَدا يُناجيه قلبي هَلْ رأى غَيْرَ وَاجبِ
وَعَنْ أرقي لا تسألي غَيْرَ عارفٍ وأعرفُ شيءٍ فيه زُهْرُ الكَواكبِ[٤]
أبيتُ أُراعيها فما بَيْنَ طَالعٍ أُديرُ له طَرْفِي وما بَيْنَ غَاربِ

(١) القريضُ: الشِّعْرُ.
(٢) روضٌ أريض: كثير النبت.
(٣) مَهيضٌ: مكسور.
(٤) الزُّهْرُ: المتلألئة.

وَتَـغْـربُ جـيـلاً بـعـدَ جـيـلٍ فـلا أرى سِوَى القُطْب أوفى من سَميرٍ لِصَاحبِ[١]
يُـقـيـم لـمـن لا يـطـرقُ الـنـومُ جَـفْـنَـهُ فَـقـلـبـي مِـغـنـاطـيـسُـه فـي الـتـجـاذبِ
أعـلـيـاءُ لَـوْلا أنّ سُـكـنـاكِ مُـهـجـتـي لـمـا عَـذُبـتْ لـي بَـعْـدَ بُـعْـدي مَـشـاربـي
بَـلـى إنّ نـارَ الـبُـعـدِ أذهـبـتِ الـحـشـا فَـهلْ في القتيل الطالبي منْ مُطالبِ
عَـسَـى أنْ يـرقَّ الـقـلـبُ مـنـهـا لِـرقّـتـي وَيَـرْفـق بـي فـالـرفـقُ فـعـلُ الأطـايـبِ
فَتبعث لي حتَّى مع الريح يا لها التحـ ـيـة والـبُـشـرى بِـنَـيْـلِ مـآربـي[٢]
كَـمـثـلـي مـا هـبّ الـنـسـيـم ولا حَـدَتْ حُـداةٌ إلـى أوطـانـهـا بـالـركـايـبِ
وَلـم أمـلِ تَـسـلـيـمـي وأشـهـدُ أدمُـعـي عـلـى وَصـبٍ منّي لِصبري مُغالبِ[٣]
سَـلامـاً لِـنـشـرِ الـروضِ يـنـفـحُ عَـرْفُـهُ ذَكـيّـاً بِـمـسْـكٍ تُـبَّـتـيٍّ مُـصـاحـبِ[٤]

سلام أرقّ من النسيم إذا هبّ، وأذكى من العبير والعنبر الأشهب، يختص من هو المراد وإن موه النظام، ويهدى إلى من هو المرام، وإن احتملت العبارة سواه فما سواه المرام، القاضي الفاضل الناسك، والسالك بلا نكير أحسن المسالك، العالم الرباني، البدر مُحمَّد بن عليّ الشَّوكاني، حفظه اللَّه وأحلّه في رضاه أعلا المباني:

وَبـلَّـغـه الـمـأمـولَ فـيـمـا يَـرومُـهُ وَسَـاقَ إلـيـه مُـتـحـفـاتِ الـرَّغـايـبِ
وَمـدَّ لـنـا فـي عُـمْـرِهِ فـهـو نِـعْـمَـةٌ تَـعُـمُّ وأَوْلَاهُ جَـزيـلَ الـمَـواهـبِ

وإنها صدرت الأحرف الحقيرة للتحية وتجديد العهاد، ومستمدة للدعاء كما هو مبذول مُعوّل في وصوله على ربّ العباد:

وَتُـنـبـيـكَ عَـنْ شـوقٍ تـأجَّـجُ نـارُهُ وَلـم يُـطـفـهـا صـبُّ الـدُّمـوعِ الـسـواكـبِ
لـذِكْـرَى لـيـالٍ كـانَ طَـرفِـي بِـوَصْـلِـكُـمْ قَـريـراً عَـسَـى لِـلـوَصْـلِ عَـوْدةُ غـايـبِ
فَـلـلَّـه فِـيـنَـا مـا يـشـاءُ وَمـا قَـضَـى مَـضَـى كَـيْـفَ شَـا واللَّـه أغـلـبُ غَـالـبِ

وللتهنية لكم بما بلغ فبلغ الغاية عندي من المسرّة، من الإعراس الحميد جعل اللَّه لأعينكم فيه أعظم قُرَّة، وبارك لك وعليك، وأصلح لك زوجك وشؤونك كلها، وساق ما شاء من برّه الهني إليك:

أُهَـنِّـيـكَ بـالإعـراس فَـاحْـمَـدْ مُـقـدّراً لِـذلـك وَاشـكُـرْ يـا ابـنَ وُدِّي لِـوَاهـبِ
لَكَ الـحـمدُ ما لاحَـتْ بـروقٌ وما سَرَتْ نـجـومٌ ومـا انـهـلَّـتْ دمـوعُ الـسَّـحـايـبِ

(١) السَّميرُ: المُحدِّثُ في الليل. (٢) المآرب: الحاجات.
(٣) الوصبُ: التعب.
(٤) العَرْفُ: الرائحة الطيبة. تُبَّتيٌّ: نسبة إلى بلاد التبت.

وَدُمْتَ على خَفْضٍ من العَيْشِ رَافِعٍ لِقَدْرِكَ مَخْصُوصاً بأَصْفَى المطَالبِ[١]
ولا زِلْتَ في أفقِ الخلافةِ مُشرقاً فإنّكَ بدرٌ بينَ تلكَ الكَواكبِ
خِلافةُ مَوْلانا الذي شَرُفَتْ بهِ أزال على شرق الدُّنا والمغاربِ

فأجبت بقولي: [من الطويل]

أيا بَيْنُ كَمْ كَدَّرْتَ صَفْوَ المَشاربِ ويا هَجْرُ كَمْ هَيَّجْتَ لَوْعَةَ غَايبِ
ويا دَهْرُ كَمْ جَرّعتني فَقْدَ صَاحبٍ بِكاسِ نَوًى من بَعْدِه فَقْدُ صَاحبِ
إلى اللَّه أشكو ما جَنْتُه يدُ النَّوى على كَبدي والدّهْرُ جمُّ العَجايبِ[٢]
أحنُّ إلى وَصْلٍ تقادمَ عَهْدُه وإنّ حَنينَ المرءِ أحقرُ وَاجبِ
وأندبُ دَهْرَ الجمعِ بَعْدَ تَفرُّقٍ وأبكي عليه بالدموعِ السَّواكبِ
فيا منزلَ اللقياءِ صَافَحَكَ الحيا بِجودٍ مُلِثٍّ أَدْكَنِ الرُّكْنِ سَاكبِ[٣]
بِعَيْشِكَ هَلْ من عَوْدَةٍ بَعْدَ فُرْقَةٍ تعودُ لِصَبٍّ مُغْرَمِ القَلْبِ دايبِ

وهي أبيات طويلة غير طائلة. وهو الآن عافاه اللَّه حيٌّ، ووالده كان شاعراً كثير الشعر رئيساً كبيراً، وشعره مجموع عند ولده المترجم له. ثم قدم صاحب الترجمة عافاه اللَّه إلى صنعاء المحروسة في شهر رمضان سنة (١٢١٥)، وكان يحضر معنا في القراءة في ليالي رمضان بمنزلي، ويجري بيننا مطارحات أدبية ومذاكرات علمية، فمن ذلك أنه حضر في بعض الليالي أغصان زنبق قد تفتح نورها فقلت من يشبه هذه الأغصان بتشبيه غير ما قد شبهها به الأولون، ثم قلت عقب ذلك بيتاً وهو: [من مجزوء الكامل]

تَحْكي رِمَاحَ زُمُرُّدٍ قَدْ نُظِّمَتْ فيها الكَواكِبْ

فأخذ هذا البيت وكتب بعده وقبله هكذا: [من مجزوء الكامل]

غُصْنٌ كأنَّ قَوامَهُ قَدٌّ لَدَى التَّشبيه كَاعِبْ[٤]
تَحْكِي رِماحَ زُمُرُّدٍ قَدْ نُظِّمَتْ فيها الكَواكِبْ
أو سَالفات نواعمٍ جالتْ عَليْهِنَّ الذَّوايبْ[٥]

(١) خَفْضُ العيشِ: رغده وسعته. (٢) النوى: البعد والهجر. جَمُّ العجائب: كثيرها.
(٣) الجَوْدُ: المطر الغزير لا مطر فوقه. مُلِثٌّ: يدوم أياماً لا ينقطع. أدكن: مائل إلى السواد من كثرة الغيوم وكثافتها. الرُّدْنُ: الكُمُّ: استعاره للمطر.
(٤) كاعب: من كعب ثدي الفتاة: نهد: ارتفع وبرز.
(٥) جالت: طافت. الذوايب: الذوائب: جمع الذؤابة: شعر مقدم الرأس.

بِـــقَـــرامـــلِ مَـــصْـــفـــوفـــةٍ مـــنْ لُـــؤلـــؤٍ فـــيـــهـــنَّ لَازبْ[١]

ولم يتوقف إلَّا مقدار الكتب بالقلم من دون روية ولا تدبر. ووفد أيضاً إلى صنعاء سنة (١٢١٨)، وكثر اجتماعنا وسمع منِّي رسالتي المسمَّاة (الدرُّ النضيد في إخلاص التوحيد). وكذلك حضر معنا في قراءة مؤلَّفي المُسمَّى (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) وحصَّل كِلا المؤلفين بخطه. وبالجملة فقد دار بيني وبينه من المساجلات الأدبية والمكاتبات الشعرية ما يكثر سرد بعضه. وقد رقمت بعض ذلك في مجموع شِعري[٢].

٣٠٤

(السيد عَليُّ ابن الإمام المُتوكِّل على اللَّه إسْمَاعيل بن القَاسِم بن مُحمَّد)[٣]

الرئيس الكبير المستقل بغالب اليمن الأسفل. كان له اطلاع على العلوم الأدبية، وتمهَّر في الصناعة الشعرية. ولشعراء عصره فيه غُرر المدائح. وهو من مفاخر اليمن ومحاسن ذلك الزمن، وشعره مشهور عند الناس، ومن جيده القصيدة التي مطلعها: [من المحدث]

أَكَـــذا الـــمُـــشْـــتَـــاقُ يُـــؤَرِّقُـــهُ تَـــغْـــرِيـــدُ الـــوُرْقِ وَيُـــقْـــلِـــقُـــهُ[٤]

ومن أحسن قوله فيها:

آهٍ يـــا بَـــرْقُ أمـــا خَـــبَـــرٌ عـــنْ أهـــلِ الـــغَـــوْرِ تُـــحـــقِّـــقُـــهُ
فَـــنُـــزيـــلُ جَـــوًى لأســـيـــر هَـــوًى مُـــضْـــنًـــى قَـــدْ طـــالَ تَـــشـــوُّقُـــهُ

ومن أَحسن شعره الأبيات هذه: [من الوافر]

أَيـكـتـمُ مـا بـهِ الـصَّـبُّ الـمَـشُـوقُ وَقـدْ لَاحـتْ لـه وَهْـنـاً بُـروقُ[٥]
وَهـلْ يـخـفَـى الـغـرامُ عـلـى وَلـوعٍ يُـؤرّقُ جَـفْـنَـهُ الـبـرقُ الـخَـفـوقُ[٦]
وَيَـسْـلـو عـن أُهـيْـلِ الـجِـزْعِ صَـبٌّ جَـرَى مـن جَـفْـنِ عَـيْـنَـيْـهِ الـعَـقـيـقُ[٧]

(١) القرامل: ضفائر من الشعر تصل بها المرأة شعرها. لازب: ثابت.
(٢) توفي سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م.
(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٣٧؛ الأعلام: ٤/ ٢٦٥.
(٤) يُؤرقه: يُسهره. الوُرْقُ: الحمائم.
(٥) الصّبُّ: العاشق الشديد الشوق. لاحت: بدت وظهرت. الوهن، والموهن: ما بعد منتصف الليل، أو بعد ساعة منه.
(٦) ولوعٌ: كثير الولع: كثير التعلّق بمن يُحبّ. الخفوق: المضطرب.
(٧) يسلو: ينسى المحبوب مع طيب نفسٍ بفراقه. الجزع: منعطف الوادي. وكنى الشاعر بالعقيق عن امتزاج دمعه بالدم.